

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

تميم أبحاث الترتيب في الفوائت
حتى الآن قد صورنا رعاية "الترتيب" ضمن تصويرين:

1. رعاية الترتيب للعالم به، فقد رفضَ جوبيها المحققون المتأخرون كالحكيم و الخوئي و الخميني، فصرّحوا بأن الترتيب لا يجب على الأقوى، بينما قد استعرضنا إجماع الأقدمين و سائر أدلةهم تجاه وجوب الترتيب، و الصوابُ هو متجههم.

2. رعاية الترتيب للجاهل به، حيث قد رافقنا أكثر الفقهاء -وفقاً لتصريح الرياض- و استعرضنا الأدلة الواافية لعدم الوجوب، إلا أنها في النهاية قد احتطنا استحبابياً تجاه رعاية الترتيب للجاهل لولا الحرجية.

و النقطة الهامة في الميدان أن دليلاً "لا حرج" تُعد حاكمةً تجاه الصوم الهجير بحيث لو أصبح الصيامُ عسراً حرجياً لزال وجوبه منذ البداية إلا أن عليه الإمساك قدر ما يُطيق، ولكن "لا حرج" لا يتحكّم على الحجّ التسكمي إذ المفترض أن المكلف منذ البداية قد هياً شروط الحجّ بأسرها ولكنه قد أهمل الحجّ و عصى ربّه، فرغم أن أساساً دليلاً "لا حرج" كان امتنانياً منذ البداية إلا أنه حينما تمرّد عن التكليف الفعلي المُتيسّر وألقى نفسه في العجز و المشاق فقد ألزمَه الشارع -بدليل خاص- أن يمثل الحجّ في السنة المُقبلة رغم تسكمه و تعسره، إذ قد انقلبُ عنوان الامتنان -لحرج- إلى لون العقوبة، وبالتالي إن دليلاً "لا حرج" لا يمُنّ عليه و لا يُزيلُ وجوب الحجّ عنه، وقد صرّح أغلبُ الفقهاء بأسدل هذه النظرية في الحجّ دون الصوم الهجير.

3. التصوير الثالث يتحددُ حول شرطية الترتيب بين الصلوات الأدائية الثانية كالترتيب بين الظهرين و بين العشاءين، أجل إن مجرد ترتيب الصلوات في الأذمنة الخارجية لا يدلّ على شرطية الترتيب إذ الزمان ظرف.

فيما يلي، إن الفقهاء الذين -كالسادة الحكيم و الخوئي و الخميني- قد استنكروا وجوب الترتيب بين الفوائت -لدى الجهل و العلم معاً- فقد استوجبوا بين الصلوات الثانية حتماً كالظهرين، و من استوجب الترتيب بين مطلق الفوائت -في فرض العلم- فبطريق أولى سيستوجب الترتيب بين الصلوات الثانية كالعشائين -كما هو الصواب- و الآن سنستعرض الدلائل حول رعاية الترتيب في الصلوات الثانية الفائتة:

1. الإجماع المنقولُ من قبل العلامة في التذكرة و المحقق ضمن المعتبر و المحقق الخوئي.

- بل قد أعلنَ المحقق الخوئي بأن وجوب الترتيب في قضاء الصلوات الثانية، يُرافِقُ الفاعدة الأولى الفائلة: اقض ما فات كما فات، و حيث إن الفائت يُعدّ مرتبأً من أساسه كالظهرين و العشاءين، وبالتالي سيتوجب قضاؤهما مرتبأً أيضاً، و إليك نصّ بيانات المحقق الخوئي:

«الترتيب في القضاء: أَمَا لِزُوم الترتيب فيما إِذَا كَانَتِ الْفَائِتَة مَرْتَبَة فِي نَفْسِهَا كَالظَّهَرِينَ وَالْعَشَاءِينَ فَمَمَّا لَا إِشْكَالٌ فِيهِ وَلَا خَلَفٌ، فَإِنَّهُ عَلَى طَبِقِ الْفَاعِدَة بَعْدَ أَنْ كَانَ الْلَّازِمُ هُوَ قَضَاء مَا فَاتَ كَمَا فَاتَ». فَتُجَبُ مِرَاعَةُ جُمِيعِ الْخَصُوصِيَّاتِ الْمُوجَودَةِ فِي الْفَائِتَةِ عَدَا خَصُوصِيَّةِ الْوَقْتِ، وَلَا شَكٌ فِي أَنَّهُ يُعْتَبَرُ فِي صَحَّةِ صَلَةِ الْعَصْرِ بِمَقْتضَى التَّرْتِيبِ الْمُلْحُظَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَةِ الظَّهَرِ الْمُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «إِلَّا أَنَّ هَذِهِ قَبْلَ هَذِهِ»[1] تَأْخِرُهَا عَنْ صَلَةِ الظَّهَرِ، وَكَذَا الْحَالُ فِي صَلَةِ الْعَشَاءِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَحِينَئِذٍ فَلَا بَدَّ مِنِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الشَّرْطِ الْمُذَكُورِ فِي الْقَضَاء حَتَّى تَتَحَقَّقَ الْمَمَاثِلَةُ الْمُطْلَفَةُ الْمُعْتَبَرَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَدَاءِ»[2].

وَنَلَاحِظُ عَلَيْهِ بِأَنَّ عِبَارَةً "كَمَا فَاتَ" لَا تَبَدُّ ظَاهِرَةً فِي الشَّمْوَلِيَّةِ لِكُلِّ الْخَصُوصِيَّاتِ الْفَائِتَةِ حَتَّى التَّرْتِيبُ وَكَذَا الْجَهْرُ وَالْإِخْفَاتُ وَ... بَلْ هِيَ تَنْصَرِفُ إِلَى مَبْحَثِ الْقُصْرِ وَالْإِتَّمَامِ فَحَسْبٌ، فَرَغْمَ أَنَّ الْمُوْرَدَ لَا يُحدَّدُ الْوَارَدَ، إِلَّا أَنَّ وَجْهَ الشَّبَّهِ - كَمَا فَاتَ - هُوَ عَدِيمُ الْإِطْلَاقِ إِذْ يَنْصَرِفُ - لِكُثْرَةِ الْاسْتِعْمَالِ فِي الدَّلِيلِ - إِلَى مَبْحَثِ كَمِيَّةِ رِكَعَاتِ الصَّلَاةِ - قَصْرًا وَتَمَامًا - لَا كِيفِيَّةً، وَلِهَذَا لَمْ يَسْتَدِلَّ الْفَقَهَاءُ ضَمِّنَ مَبْحَثِ الْجَهْرِ وَالْإِخْفَاتِ إِلَى دَلِيلٍ "اقْضِ مَا فَاتَ" بَلْ اتَّكَلُوا عَلَى إِطْلَاقِ أَدَلَّةِ الْجَهْرِ وَالْإِخْفَاتِ بِحِيثِ يَسْتَوْعِبُ الْأَدَاءُ وَالْقَضَاءُ مَعًا.

2. الأدلة الروائية حول الترتيب بين الصلوات الثانية:

- «صَحِيحَةُ زِرَارةُ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَإِنْ كَانَ الْمَغْرِبُ وَالْعَشَاءُ قَدْ فَاتَتَاكُمْ جَمِيعًا فَابْدُأُوهُمَا قَبْلَ أَنْ تَصْلِيَ الْغَدَةَ، ابْدُأُ بِالْمَغْرِبِ ثُمَّ الْعَشَاءَ، فَإِنْ خَشِيَتِ أَنْ تَفُوتَكُمُ الْغَدَةَ إِنْ بَدَأْتُمْ بِهِمَا فَابْدُأُوهُمَا بِالْمَغْرِبِ ثُمَّ صَلَّيَ الْغَدَةَ ثُمَّ صَلَّى الْعَشَاءَ، وَإِنْ خَشِيَتِ أَنْ تَفُوتَكُمُ الْغَدَةَ إِنْ بَدَأْتُمْ بِالْمَغْرِبِ فَصَلَّيَ الْغَدَةَ ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعَشَاءَ، ابْدُأُ بِأَوْلَاهُمَا لِأَنَّهُمَا جَمِيعًا قَضَاءٌ، أَيْهُمَا ذُكِرَ فَلَا تَصْلِيَهُمَا إِلَّا بَعْدَ شَعَاعِ الشَّمْسِ. قَالَ قَلْتَ: وَلَمْ ذَاك؟ قَالَ: لَأَنَّكَ لَسْتَ تَخَافُ فُوتَهَا».[3].

وَقَدْ أَمْرَتْ بِالْتَّرْتِيبِ قَائِلَةً: ابْدُأُ بِالْمَغْرِبِ ثُمَّ الْعَشَاءَ. وَأَمَّا الرَّوَايَةُ التَّالِيَّةُ فِي هَذِهِ السَّاحَةِ فَهِيَ:

- «صَحِيحَةُ أَبِي بَصِيرِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) «قَالَ: إِنْ نَامَ رَجُلٌ وَلَمْ يَصْلِيْ صَلَةَ الْمَغْرِبِ وَالْعَشَاءِ أَوْ نَسِيَ فَإِنْ اسْتِيقَظَ قَبْلَ الْفَجْرِ قَدْرَ مَا يَصْلِيْهُمَا كَلْتِيْهُمَا فَلِيَصْلِيْهُمَا، وَإِنْ خَشِيَ أَنْ تَفُوتَهُ إِحْدَاهُمَا فَلِيَصْلِيْهُمَا بِالْعَشَاءِ الْآخِرَةِ وَإِنْ اسْتِيقَظَ بَعْدَ الْفَجْرِ فَلِيَصْلِيْ الْفَجْرَ ثُمَّ الْمَغْرِبَ ثُمَّ الْعَشَاءِ الْآخِرَةِ...»[4].

وَمِنِ الْجَلِيِّ أَنَّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ تُقْيِدُ الرَّوَايَةَ الْمَاضِيَّةَ لِأَنَّهَا قَدْ صَرَّحَ: إِنْ اسْتِيقَظَ قَبْلَ الْفَجْرِ... وَإِنْ اسْتِيقَظَ بَعْدَ الْفَجْرِ. إِلَّا أَنَّ الَّذِي يَعْنِيْنَا لِإِثْبَاتِ التَّرْتِيبِ هِيَ الْعِبَارَةُ: «ثُمَّ الْمَغْرِبُ ثُمَّ الْعَشَاءُ الْآخِرَةُ» فَقَدْ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْعَشَائِينَ حِيثُ قَدْ تَرَتَّبُتَا حِينَ الْأَدَاءِ فِي الْتَّابِعِ سَيْتَوْجِبُ التَّرْتِيبُ حِينَ الْقَضَاءِ أَيْضًا.

وَأَمَّا بِشَأنِ تَرْتِيبِ الظَّهَرِينِ فَحِيثُ لَا نَسْتَظِهِنُ الْخَصُوصِيَّةَ لِلْعَشَائِينِ - مِنْ هَاتِيْنِ الرَّوَايَتَيْنِ - فَبِالْتَّالِي سَيَنْعَكِسُ التَّرْتِيبُ عَلَى الظَّهَرِينِ أَيْضًا، فَبِبرِكَةِ "انْدَعَامِ الْخَصُوصِيَّةِ" سَنَسْتَغْنِيُّ عَنِ دَلِيلِ خَارِجِيِّ كَالْإِجْمَاعِ بَعْدَ القُولِ بِالْفَصْلِ، فَرَغْمَ أَنَّهُ يُعَدُّ حَجَّةً تَامَّا إِلَّا أَنَّ عَمَلِيَّةَ الْاسْتِظْهَارِ مِنْ نَفْسِ الرَّوَايَةِ سَتَحْسِمُ النِّزَاعَ - بَعْدَ خَصُوصِيَّةِ الْعَشَائِينِ -

[1] الوسائل ٤:١٢٦ / أبواب المواقف ب٤ ح٥.

[2] خوئي سيد ابوالقاسم. موسوعة الإمام الخوئي. Vol. 16. ص ١٣٦ قم - ايران: مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي.

[3] الوسائل ٤:٢٩٠ / أبواب المواقف ب٤ ح٦٣.

[4] الوسائل ٤:٢٨٨ / أبواب المواقف ب٤ ح٦٢.

